الفصل الثامن

الرومانيون وعلم الجغرافية

تقلصت الأفكار الإبداعية في علم الجغرافية، في الفترة التي كانت الدول الرومانية مسيطرة على معظم بلاد العالم، ولكن هناك بعض العلماء الذين عملوا في الامبراطورية الرومانية والذين أدوا رسالة جليلة في حقل الجغرافية أمثال: اسطرابون (strobo) يوناني الأصل ولد في بنطس سنة ٦٣ قبل الميلاد، وهو صاحب العمل الجغرافي المكون من ١٧مجلدا، وكذلك بليني (Pliny) من العلماء الموثوق بهم عند الأباطرة وأنتج موسوعته العلمية سنة ٧٩ ميلادية والتي تحتوي على ٣٧مجلدا، أما مارينوس الصوري (Marinus tyre) فله صولة وجولة في علم الجغرافية، مع أنه من علماء الرياضيات، وقد كتب سنة ١١٠ميلادية كتابا في مجال علم الجغرافية صار من أهم المصادر للباحثين.

ولايخفى على القارىء أن إيطاليا لها موقع جغرافي عظيم، ومتميزة بين الدول الأوربية إضافة إلى أنها مع جزيرة صقلية تقسمان البحر الأبيض المتوسط إلى حوضين هامين، وتشتهر إيطاليا بكثرة مرافئها، لذا صارت من الأقطار الأوربية المحببة والمرغوب بها. . والجدير بالذكر أن روما تأسست سنة ٧٥٣ قبل الميلاد.

نمت وترعرعت الامبراطورية الرومانية كقوة عسكرية ضارية، لذا اضطر اليونانيون كارهين الاعتراف بها والتسليم بسلطتهم العسكرية، لذلك استولوا بقوة السلاح على معظم العالم القديم.

يذكر شريف محمد شريف في كتابه (تطورات الفكر الجغرافي) أن تفوق الجيوش الرومانية، وقوة أساطيلها البحرية، جعل النصر حليفا للرومان، فما أن وافى عام١٤٦ قبل الميلاد إلا وقد أجبرت اليونان على الاعتراف بسيادة روما، وبذلك خلا البحر الأبيض المتوسط ممن ينافس روما على سيادته وأخذت البلاد

المطلة على البحر الأبيض المتوسط تقع صرعى في يد القوة الرومانية التي آلت إليها سيادة البحر والبر، وبذلك ظل البحر الأبيض المتوسط قرونا عديدة بحر رومانيا خالصا، لذا بسطت الامبراطورية الرومانية سلطانها على مساحات كبيرة فيما وراء البحار بكل من قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، واقتضى حكم هذه الأقطار حفظ الاتصال بينها وبين الحكومة المركزية في روما.

ومما لاشك فيه أن الرومان اهتموا اهتماما بالغا ببسط نفوذهم السياسي والاقتصادي عبر القوة العسكرية على العالم القديم، لذا اضطروا أن يعبدوا الطرق الموصلة إلى أجزاء الامبراطورية الرومانية المترامية الأطراف، وفي نظرنا أن تمهيد الطرق ظاهرة جغرافية لأن المسالك سواء كانت برية أو بحرية هي الوسيلة التي توفر الجهود والطاقات البشرية بين الدول.

ويذكر شريف محمد شريف في كتابه آنف الذكر أن الطرق البرية التي اهتم الرومان بإنشائها، ونالوا شهرة ببنائها في كافة أرجاء امبراطوريتهم الفسيحة، مكنت الرومان من السيطرة على كافة الولايات والأقطار، وارتفعت لديهم الكفاءتان العسكرية والاقتصادية، وبذلك يمكن القول أن الجغرافية أعطت الرومان النفوذ والسلطة، وليس أدل على اهتمام الرومان بالجغرافية من أنه في عهد الامبراطور أغسطس انتشرت خرائط للامبراطورية الرومانية معروضة في روما لتعليم المواطن العادي.

والمعروف بل المتواتر عن المؤرخين للعلوم أن علماء الرومان لم يصلوا إلى المكانة العلمية التي وصل إليها علماء اليونان، فالحقيقية أن الرومان يعتبرون متخلفين علميا، لأنهم مجموعة من الفلاحين لايهتمون بالعلم، ولكنهم ركزوا على جمع المال والحروب المتكررة للسيطرة على مناطق الثروة الزراعية والمعدنية مهما كلف الأمر.

وعندما قويت نفوذ الامبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور الروماني قسطنطين عام ٣٢٤م بدأ عصر التدهور العلمي في العالم آنذاك، وظهرت بعض الأفكار الجغرافية الخرافية التي تدل على جهل مطبق، وذلك بسبب سيطرة الكنيسة على المراكز الثقافية في ذلك الحين.

ويذكر شاكر خصباك في كتابه (في الجغرافية العربية) أنه من المفروض أن

يستمر التقدم العلمي الذي نماه علماء اليونان، إلا أن تبني الامبراطورية الرومانية الديانة المسيحية في عهد الامبراطور قسطنطين قد أدى إلى فرض تفكير الكنيسة العقيم على الثقافة الأوربية وذاعت مفاهيم جغرافية متخلفة ونسخت النظريات العظيمة المتطورة عن الأرض وظواهرها الطبيعية والبشرية وشكلها وحجمها وأقطارها، كل هذه الأفكار توارت في زوايا النسيان.

نعم لم يبق هذا التدهور طويلا، حيث بعث الله تبارك وتعالى نبي الهدى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم الذي بدأ انطلاقة الحضارة العربية والإسلامية التي خدمت الإنسانية، فحفظ علماء العرب والمسلمين نتاج اليونان في ميدان علم الجغرافية وأضافوا إليه مفاهيم جديدة اندهش منها علماء العصر الحديث.

obeikandl.com